المعلومات المصورة للشباب

كولمبس

مكتشف أمريكا



اللوحات والإعداد الفنى

جمال قطب

المادة العلمية

د . هبة جمال



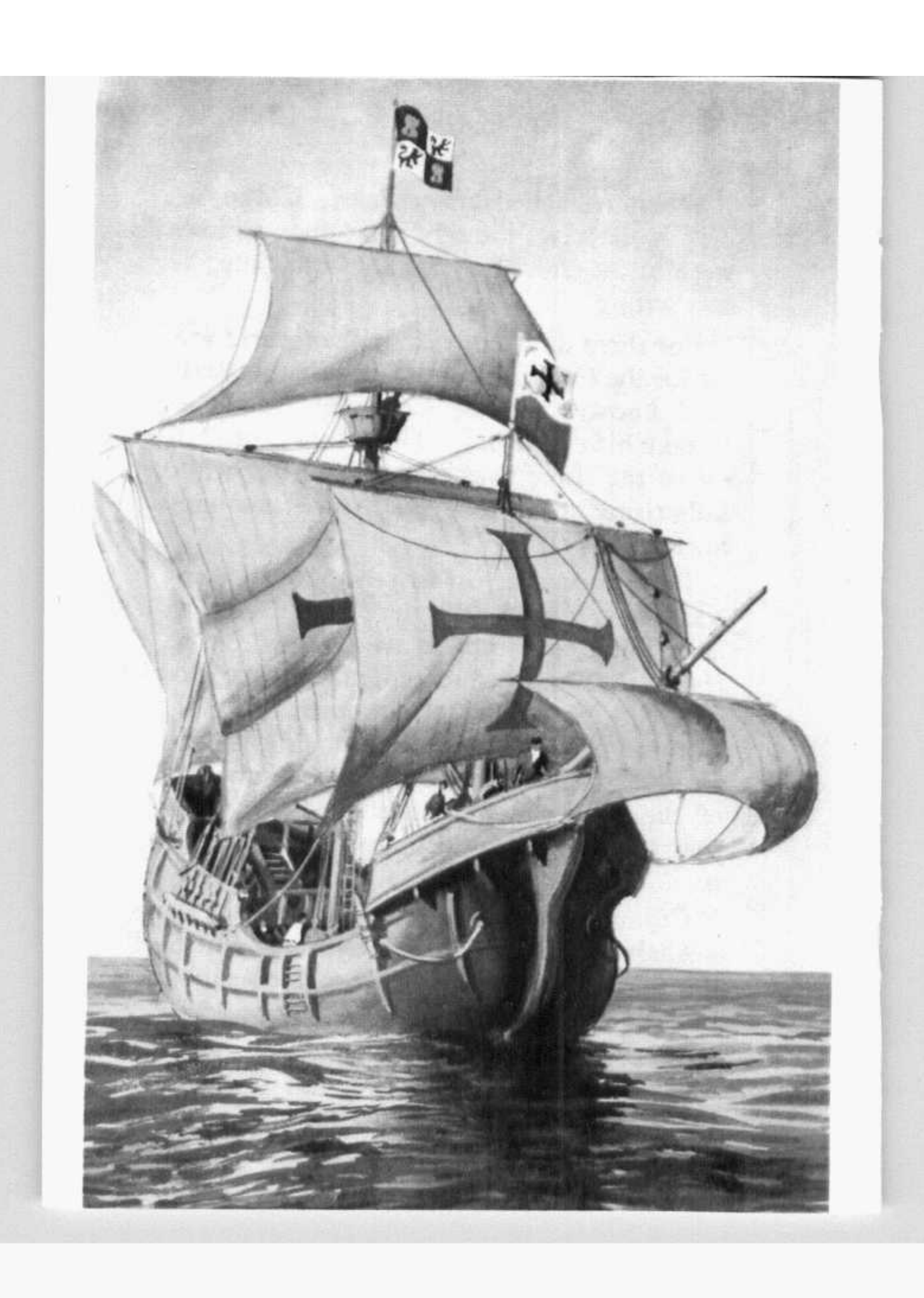
كان الاعتقاد السائد فى أوروبا فى القرون الوسطى ، أن البحار تغطى كل أجزاء الدنيا حول الأرض المحدودة ، التى يعرفونها آنذاك . كما كانت خرائطهم التى تداولوها فى القرن الخامس عشر ، خالية تماما من الأمريكتين . ولكن المثقفين والمهتمين بالاستكشاف والإبحار ، كانوا يعتقدون بأن الأرض كروية ، والكثيرون منهم لم يجهروا بذلك ، خشية تسلط رجال الكنيسة والمعتقدات الموروثة القديمة .

وكانت الدول الساحلية ـ بما لها من قوة بحرية وتجارية ـ لا تكف عن البحث لإيجاد طريق قصير إلى بلاد الهند التى طالما سمعوا عنها ، وعن ثرائها بالذهب والتوابل والحرير والعاج والأحجار الكريمة . ولذلك ، نشطت روح المغامرة وقتها لاكتشاف الهند ، وغيرها من العالم المجهول .

ومن أشهر هؤلاء المغامرين المستكشف الإيطالى كرستوفر كولمبس .

ومن العجيب أنه قام (بثلاث رحلات) من رحلاته الجسورة اكتشف فيها الأمريكتين ، ومات وهو يعتقد أن الأرض التى اكتشفها هى الهند . ولكن التاريخ قد احتفظ له بأنه أول من وطئت قدماه أرض العالم الجديد .







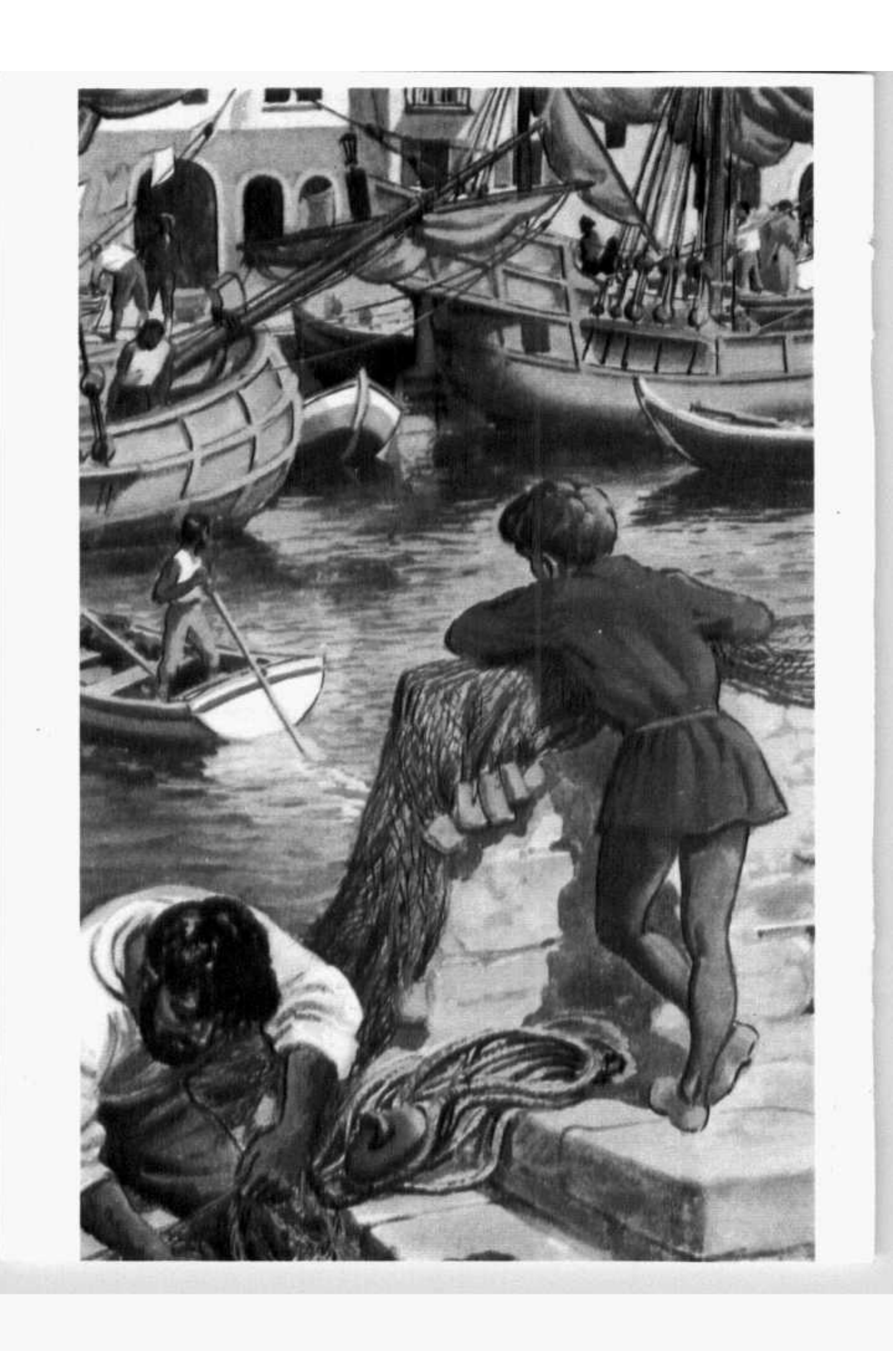
ولد كرستوفر فى جنوة فى عام ١٤٥١ ، ونشأ بين عائلة يعمل أفرادها فى نسج الصوف ، وكان والده رجلا فقيرا يتنقّل بين المدن الإيطالية هو وعائلته بحثا عن الرزق ، حتى استقر به المقام فى جنوة Genoa . وكان الطفل كرستوفر يقضى معظم وقته على الشاطئ يراقب بفضول وإعجاب حركة السفن وحياة البحر والبحّارة . وكان يتمنى ويحلُم بأن يكون بحّارا مثل أخيه الأكبر .

وعندما أتم العشرين من عمره ، اتجه إلى البحر وعمل بكل عزيمة على تحقيق حلمه ، فانكب على دراسة الخرائط وعلم الفلك ومواقع النجوم وأنواع السفن ، وكل ما يتعلق بعالم البحار المثير !

وكانت المعلومات الغامضة عن العالم المجهول الكائن عبر البحار الغربية تتردد على مسامعه .. والجميع يفترضون أنها بلاد الهند دون غيرها . فعزم كولومبس على أن يقوم بهذه المغامرة ليجد أقصر طريق إلى الهند ، فضلا عن الهند ذاتها التى طالما داعبت أحلام المستكشفين .

إنه يحتاج إلى المال والعتاد والمؤن والرجال .. ولذلك اتجه إلى الدول الأوروبية يستعطف الحكومات والهيئات الرسمية لكى تساعده على القيام برحلته إلى الأرض الذهبية ، كما كان يطلق عليها .

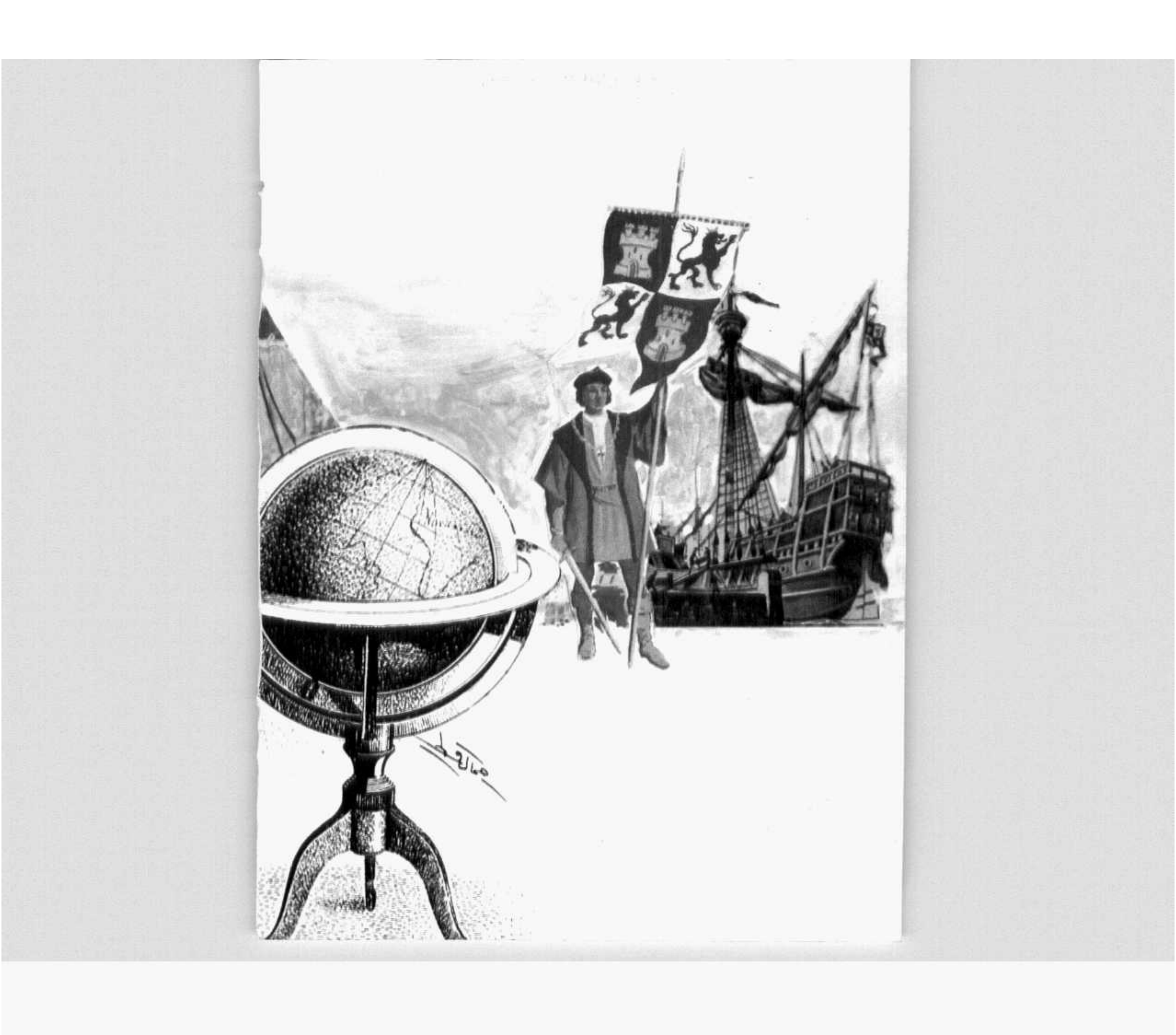


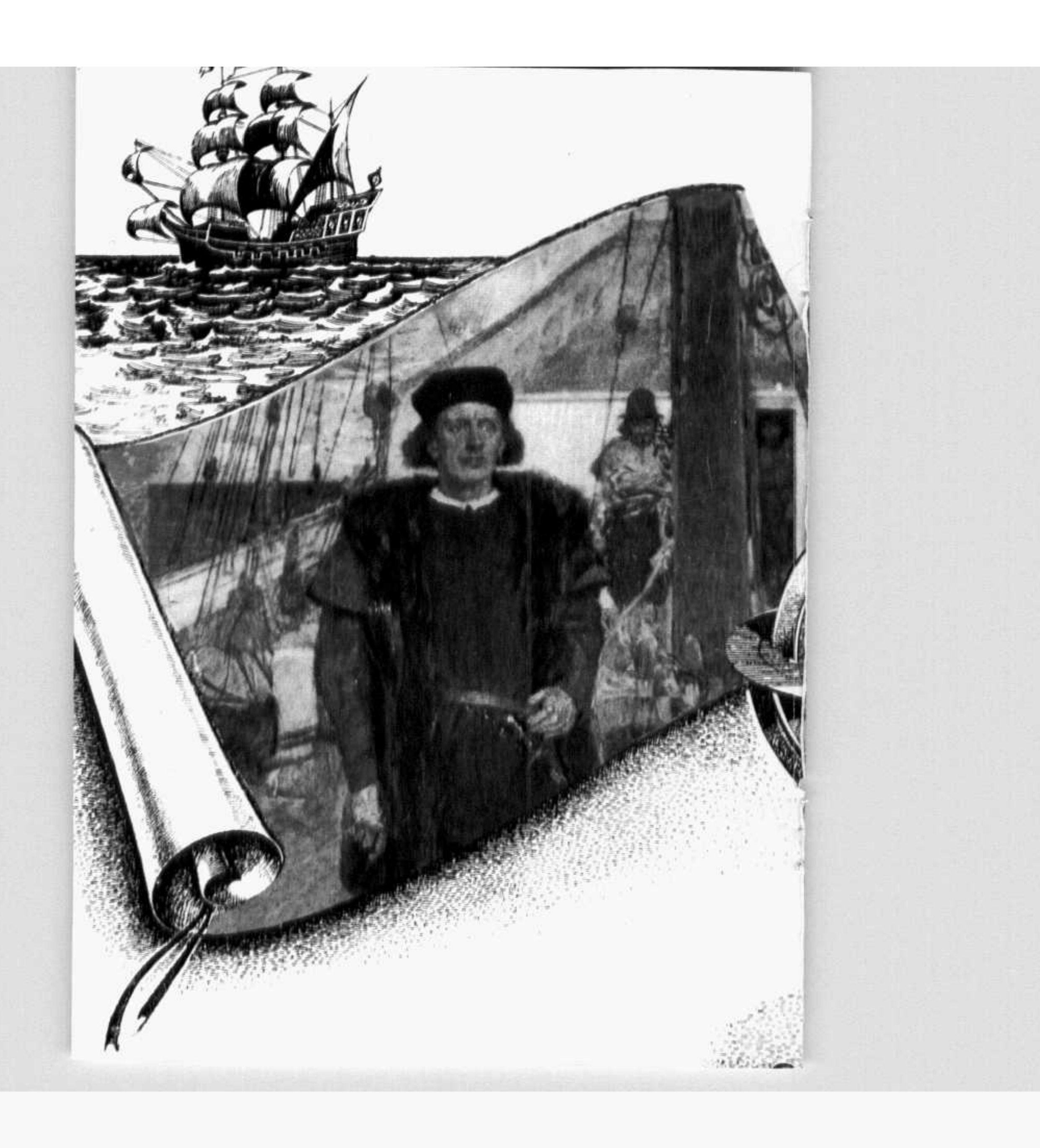


ولم تلق توسلاته آذانا مصغية ، فهذه هى البرتغال التى تُعتبر من أهم الدول التى تعنى بالاستكشافات البحرية ، لم تأبه بطلبه ؛ فلم يجد أمامه غير إسبانيا ، إلا أن الملكة إيزابيللا وزوجها فرديناند كانا مشغولين بالحرب مع المسلمين لإخراجهم من آخر حصونهم فى غرناطة ، ولكن كولمبس ظل صامدًا صابرا سبع سنوات حتى انتهت الحرب ، وترك المسلمون ديارهم الأندلسية فى غرناطة ، كما ترك آخر حكامهم « محمد أبو عبد الله » قصور الحمراء وعبروا المضيق جنوبا إلى المغرب ؛ فوجدها كولمبس فرصة ليهنئ إيزابيللا وفرديناند ، ويشرح لهما مشروعه بالتفصيل . فأمرت له إيزابيللا بثلاث سفن مزوّدة بكل ما يلزمها من رجال وسلاح ومؤن ، كما منحته مبلغا كبيرا من المال وأنعمت عليه بلقب « أدميرال » ، بل وبالغت فى كرمها فنصّبته حاكما على أى أرض يكتشفها فى رحلته . وبدأت الرحلة التاريخية الشهيرة فى الثالث من أغسطس من عام ١٤٩٢ ، وأبحرت السفن الثلاث : نينا **Nina** وبنتا **Pinta** وسانتا ماريا **Santa Maria** ، وعليها مائة وعشرون رجلا تحت قيادة كرستوفر كولمبس ، متجهة إلى الأرض الذهبية من جهة الغرب لإيمانه بكروية الأرض .









وبعد رحلة مضنية استمرت واحدا وسبعين يوما ، ظهرت اليابسة ، وكانت جزيرة يسميها أهلها « جوانا هانى » وهى فى الواقع إحدى جزر بهاما الوسطى ، وظل كولمبس يتنقل بين الجزر فى هذا التيه المجهول إلى أن اتجه جنوبا إلى جزيرة كوبا . وكل أرض يقابلها يعتقد إنها جزء من الهند التى كانت هدفه ومبتغاه . وأرسل بعض رجاله لكى يكتشفوا معالم الجزيرة ، ولكنهم لم يجدوا أثرا للذهب أو التوابل أو العاج ، ولم يعثروا على قصور الحكام التى سمعوا عنها فى الأساطير وتناقلها الرواة ! بل إن كل ما رأوه بضع مئات من الهنود الفقراء الذين يسكنون الأكواخ وينفثون الدخان فى لفائف من أوراق النبات(*) .

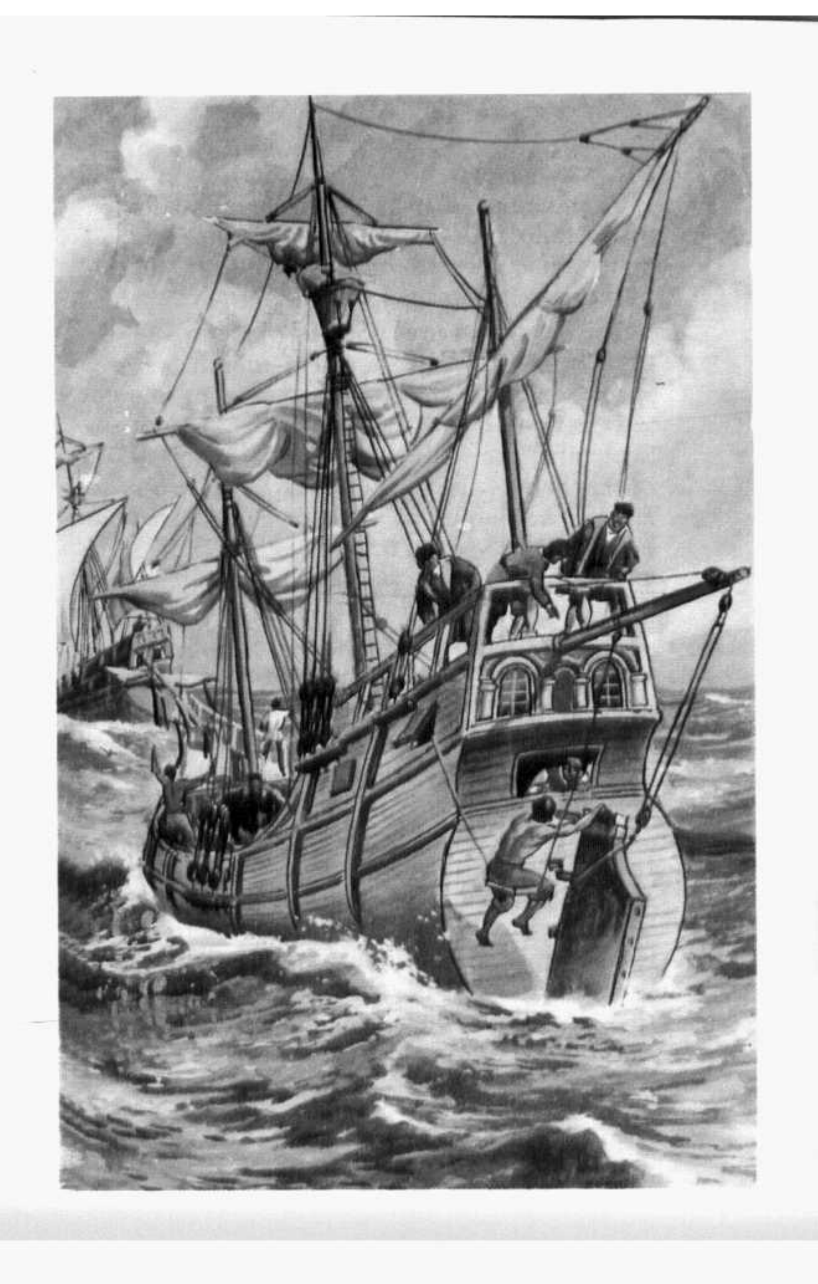
وبعد أحداث كثيرة ، وقع أول صدام بين البحّارة المسلحين والسكان الأصليتين على شاطئ الأرض التى تعرف الآن بجمهورية الدومينكان ؛ فقد واجه الإسبان فى أحد الخلجان سهام الهنود ، فسمى كولمبس هذا الخليج : خليج السهام .

(*) كانت هذه أولى الصلات بين أوروبا والطباق ، بل وظل السيجار الكوبى له شهرته ومكانته حتى يومنا هذا .





وأخيرا عزم كولمبس على العودة فى رحلة شاقة مرعبة تتأرجح فيها سفينته المنهكة حتى وصلت « بينتا » **Pinta** إلى برشلونة فى ٤ من مارس عام ١٤٩٣ .. وهب البرتغاليون يرحبون بالمكتشف العظيم الذى اكتشف بلاد الهند وعرف الطريق إليها ! وفى البرتغال تسلم كولمبس رسالة من القصر الملكى الإسبانى حافلة بالتحيات والتهانى ، بل وتخلع عليه ألقابا نبيلة مثل أمير البحر المحيط ونائب الملك وحاكم الجزر الهندية المكتشفة .. ورحب البلاط الإسبانى بمقدم الفاتح العظيم .. فشق كولمبس طريقه إلى هناك وسط مظاهر الأبهة والفخامة بين الحاشية والأتباع ، حاملا معه الأسرى الهنود والببغاوات الملونة والأقنعة الذهبية ، وغير ذلك من العجائب التى لم يسبق لأحد من الإسبان رؤيتها من قبل !





وأصبح كولمبس بطل « الهند الجديدة » ، وعاود الإبحار إلى أرضه المكتشفة ومعه ألف وخمسمائة من رجاله ، ثم عاد من هذه الرحلة عام ١٤٩٦ بعد أن ترك شقيقه حاكما على « سانتا دومنجو Santa Domungo » و« هاييتى Haiti » .. ولم يكتشف كولمبس القارة الأمريكية بأكملها إلا فى الرحلة الثالثة عام ١٤٩٨ .

وعلى أية حال فقد مات كولمبس فقيرا معدما فى يوم ٢٠ مايو ١٥٠٦ بمدينة « فالادوليد Valadolid » وهو يعتقد أن الأرض التى اكتشفها هى الهند ، ولكنها ـ كما أسلفنا ـ هى أمريكا ، ولم يؤكد ذلك إلا رحالة آخر هو « أمريجو » ، فقد قام بوصف الأرض المكتشفة على أنها قارة جديدة لم تكن معروفة من قبل وليست الهند . ومن اسم « أمريجو » عرفت القارة باسم أمريكا . أما أول أوروبى يصل إلى الهند (من جهة الشرق وليس من الغرب كما فعل كولمبس) فهو البرتغالى « فاسكو دى جاما » ، وصل إليها عن طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب أفريقيا ، ثم إلى المحيط الهندى ثم إلى كلكتا جنوب الهند ، وكان ذلك عام ١٤٩٧ .

● ● وقد عرفت ملامح كرستوفر كولمبس من تمثاله المقام له فى مسقط رأسه بمدينة جنوه بإيطاليا .




ORBEM

رقم الإيداع ٥٢٢٧ / ٩٨
الترقيم الدولى : 3 - 1149 - 11 - 977

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة